الفصل الأول

الإيمان بالقدر من أصول الإيمان

الإيمان بالقدر من أصول الإيمان التي لا يتم إيمان العبد إلا بها، ففي صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب في سؤال جبريل عليه السلام الرسول ﷺ قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتؤمن بالقدر خيره وشرّه. قال (أي جبريل عليه السلام): صدقت»[1]. والنصوص المخبرة عن قدر الله أو الآمرة بالإيمان بالقدر كثيرة، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[2]. وقوله: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾[3]، وقوله: ﴿وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾[4]. وقال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[5]. وقال: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾[6].

وروى مسلم في صحيحه عن طاوس قال: «أدركت ناسا من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كل شيء بقدر. قال وسمعت عبدالله بن عمر يقول: كل شيء بقدر حتى العَجْزُ والكَيْس[7]، أو الكَيْس والعَجْز»[8].

---

(١) شرح النووي على مسلم: ١/١٥٧.
(٢) سورة القمر: ٤٩.
(٣) سورة الأحزاب: ٣٨.
(٤) سورة الأنفال: ٤٢.
(٥) سورة الأحزاب: ٣٨.
(٦) سورة الأعلى: ١ ـ ٣.
(٧) الكَيْس ضد العجز.
(٨) رواه مسلم: ٤/٢٠٤٥ ورقمه: ٢٦٥٥.

وروى مسلم أيضا عن أبي هريرة قال: «جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر، فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[9][10].

والنصوص في ذلك كثيرة جدّا فإنَّ النصوص الدالة على علم الله وقدرته ومشيئته وخلقه تدل على قدره تبارك وتعالى، فالقدر يتضمن الإيمان بعلم الله ومشيئته وخلقه، كما سيأتي بيانه، وذكر النصوص الواردة في ذلك.

والقدر يدل بوضعه ـ كما يقول الراغب الأصفهاني فيما نقله عنه ابن حجر العسقلاني ـ على القدرة وعلى المقدور الكائن بالعلم[11].

فلله تعالى القدرة المطلقة، وقدرته لا يعجزها شيء، ومن أسمائه ـ تبارك وتعالى ـ القادر والقدير والمقتدر، والقدرة صفة من صفاته.

فالقادر اسم فاعل من قدر يقدر.

والقدير فعيل منه، وهو للمبالغة، ومعنى (القدير) الفاعل لما يشاء، على قدر ما تقتضيه الحكمة لا زائدا عليه، ولا ناقصا عنه، ولذلك لا يصح أن يوصف به إلا الله عز وجل. قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[12].

و(المقتدر) مفتعل من اقتدر، وهو أبلغ من (قدير) ومنه قوله: ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾[13].

---

(٩) سورة القمر: ٤٨ ـ ٤٩.

(١٠) رواه مسلم: ٤/٢٠٤٦. ورقمه: ٢٦٥٦، ورواه الترمذي: انظر صحيح سنن الترمذي: ٣/٢٢٩.

(١١) فتح الباري: ١١/٤٧٧.

(١٢) سورة الأحقاف: ٣٣.

(١٣) سورة القمر: ٥٥.

وقد سئل الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ عن القدر: فقال: «القدر قدرة الله»[١٤].

قال ابن القيم: «وقال الإمام أحمد القَدَرُ قدرة الله. واستحسن ابن عقيل هذا الكلام جدّا، وقال: هذا يدل على دقة أحمد وتبحره في معرفة أصول الدين، وهو كما قال أبو الوفا، فإن إنكاره إنكار لقدرة الرب على خلق أفعال العباد وكتابتها وتقديرها» وقد صاغ ابن القيم هذا المعنى شعرا فقال:

فحقيقة القدر الذي حار الورى ... في شأنه هو قدرة الرحمن
واستحسن ابن عقيل ذا من أحمد ... لما حكاه عن الرضى الربان
له قال الإمام شفى القلوب بلفظةٍ ... ذات اختصار وهي ذات بيان

ولذا فإن الذين يكذبون بالقدر لا يثبتون قدرة الله تعالى، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «مَنْ لم يقل بقول السلف فإنه لا يثبت لله قدرة، ولا يثبته قادراً كالجهمية ومن اتبعهم، والمعتزلة المجبرة والنافية: حقيقة قولهم أنه ليس قادرا، وليس له الملك، فإن الملك إما أن يكون هو القدرة، أو المقدور، أو كلاهما، وعلى كل تقدير فلا بدَّ من القدرة، فمن لم يثبت له قدرة حقيقية لم يثبت له ملكا»[١٥].

والذين كذبوا بالقدر لم يوحدوا الله عز وجل، فإن نفاة القدر «يقولون خالق الخير غير خالق الشر، ويقول من كان منهم في ملتنا: إن الذنوب الواقعة ليست واقعة بمشيئة الله تعالى، وربما قالوا ولا يعلمها أيضا، ويقولون: إن جميع أفعال الحيوان واقع بغير قدرته ولا صنعه، فيجحدون مشيأته النافذة، وقدرته

---

(١٤) مجموع فتاوي شيخ الإسلام: ٣٠٨/٨.
(١٥) شفاء العليل: ٤٩.

الشاملة، ولهذا قال ابن عباس: القدر نظام التوحيد، فمن وحَّد الله وآمن بالقدر تمَّ توحيده، ومن وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده»[١٦].

وقد تقاطر أهل العلم على تقرير القدر والنصِّ على وجوب الإيمان به، وما من عالم من علماء أهل السنة الذين هم أعلام الهدى وأنوار الدجا إلا وقد نصَّ على وجوب الإيمان به، وبَدَّع وسفَّه من أنكره وردَّه.

يقول النووي رحمه الله تعالى في شرحه لأحاديث القدر من صحيح مسلم: «وفي هذه الأحاديث كلها دلالات ظاهرة لمذهب أهل السنة في إثبات القدر، وأن جميع الواقعات بقضاء الله وقدره خيرها وشرها نفعها وضرها»[١٧].

وقال في موضع آخر: «تظاهرت الأدلة القطعيات من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأهل الحل والعقد من السلف والخلف على إثبات قدر الله سبحانه وتعالى»[١٨].

ويقول ابن حجر رحمه الله تعالى: «مذهب السلف قاطبة أن الأمور كلَّها بتقدير الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[١٩][٢٠].

---

(١٦) مجموع فتاوي شيخ الإسلام: ٢٥٨/٨.
(١٧) شرح النووي على مسلم: ١٩٦/١٦.
(١٨) شرح النووي على مسلم ١٥٥/٢.
(١٩) سورة الحجر: ٢١.
(٢٠) فتح الباري: ٤٧٨/١١.